

تأليحة المدى

هزيمة الشعر العراقي

■ شاكِر لعبيبي

(٢)

بعد عام ١٩٩١، وفي ذروة الحصار على العراق، قرّر النظام السابق أن يفتح كوة من "حرية الكلام" التي لم تعد ذات خطورة عليه، وسمح بنقد الممارسات الثقافية المحلية وغض الطرف عن نقد مؤسساته وسمح بالحديث عن بعض المثقفين والشعراء المعارضين ممنوعين في البلاد، إلى درجة استحضار اسم مظفر النواب بعد وقت آخر، والسماح بنشر مقابلة في مجلة "الأقلام" تتضمن سعدى يوسف طرّاً، وأعيد التذكير عرضاً ببعض شعراء السبعينيات المغفنين سابقاً من قائمة النقد الصحفّي والجامعيّ (انظر مثلاً مقالة فاروق يوسف بهذا الصدد في جريدة الجمهورية حينها)، وغير ذلك مما يمكن البرهان عليه بالوثائق. لذا فإن المرويات التي يقوم بسردها بعض شعراء تلك الفترة عن مآثر فريدة، أقرب إلى التحذير، لا تستقيم إلا بوضعها في هذا السياق التاريخي الدقيق ولحظة الانفتاح الصغيرة تلك. ومنها الملاحظات المطوّلة التي ذكرها مؤخراً صديق شاعر "سبعيني"، وهي ترقى إلى عام ١٩٩٢-١٩٩٣. هنا يصير التقاطعي مع أنشع رموز الدكتاتورية، عدي صدام حسين، محض وجهة نظري، ويغدو مروية أخرى من المرويات "العادية" التي لا يتوجب الاستغراب منها أو استنكارها، يصير عادياً للغاية، ويراد لنا الحكم بعادية اللقاء الطلوعي أو الإجباري بين الشاعر والطاغية. إن مرويات كثيرة من هذا القبيل عن الشعر العراقي إبان الثلاثين سنة الماضية تتفقد حس الاقتناع وتطوي على استبعاد لشكاء القارئ وللوعة للحظة، وتستند إلى "الضرورة" القاهرة وليس إلى "الحريّة": إلى "الجبر" وليس إلى "خيار" المفترضة، جميع المبررات تصوير مشروعة للقاء منوتر، خاسر بين الشعر والقنّة. لا أحد يطالب اليوم أحدًا بالبطولة ولا يُحَوّن أحداً، نقفش فحسب عن النيل والصدق في

لو أننا تناولنا شاعرين معروفين في العودين السابق والحالي فالأنا تحفظ بتقدير لهما، ولأنهما قدّما درساً عن هزيمة غير معنّاة للشعر العراقي في الثمروط الموصوفة. يتقدّم الشعر إذن من دون فروسية تليق بتاريخه. كل شيء صالح لتفسير النهج المخوف بالأشواك والعشرات الذي سلكه داخل البلاد. لم تكن عابرة، لا نستوضحوا طريق الحق لقلّة سالكيه" مقنعة أبداً على ما يبدو.

في المنافي أيضاً نجد أمثلة من نمط آخر لخسارة شعرية وروحية وأخلاقية ماثلة، يستوقف أماتها في مناسبات أخرى. يقع الفارق في أن لا أحد خارج البلاد كتب مروية تدليسية عن الشعرية العراقية، ولا استثمر طيلة ثلاثين عاماً مثبّراً حكومياً لكتابة سرده الشخصي الذي يستثني، بسبب الخوف وبجلها المنقعة، شطر أجورها من الشعر العراقي. هذا الفارق من الأهمية بمكان. في علمنا "الشاعر الغريب في المكان الغريب" المكتوب والمنثور قبل سقوط النظام بقليل، لم نبق باستثناء أي صوت شعري من الحقبة السبعينية، رغم أننا عبّرنا بوضوح، نادمين الآن، عن وجهات نظرات بشأن بعضها. الهزيمة الأخلاقية هي أخطر هزائم الشعر. إنها تشكك، بوسيلة غامضة، بالمعاني التي ينوي أن يبنيها. وفي يقيننا فإن واحداً من تجليات هذه الهزيمة صعود نجم "الشعراء الصعاليك" في الشعر العراقي، واعتبار "الصعلكة" رديفاً خالصاً "للشعرية"، ثم وبالتالي مع منهجية التقليدس التاريخي، القيام باعتبار جميع ممارسات الشعراء الصعاليك الاجتماعية والثقافية، مهام كانت حدة تناقضاتها وجعلها أحياناً وسلطة لسانها وتعاطيا مع الشيطان نفسه، أمراً "عادياً" آخر، بل جذراً بالتمام.

ألا ترى المديح العالي الحالي لبعض صعلاليك الشعر العراقي الذي يعني، من بين ما يعني، القبول الضمني بتهورها وانتهازيتها المستمرة وغض الطرف حتى عن قصائدها في مديح صدام حسين. وإذا ما غفرتنا لها نحن اليوم هذا كله فإنها لن تنفّر لنا، اليوم وغداً، حتى مجرد التذكير بهزائنها التي هي هزائنا جميعاً.

تقوى حدودها تقوم قافلة من الوجوه البدوية بتسليح الجنود الباكستانيين الذين يأمرهم بالعودة إلى المنطقة القبلية. الأوامر القاسية تطلق من خلال مكبرات الصوت. وتشرع البنادق. امرأة غير متعوده على أساليب الدول الأمم تتحرك للأمام مع بعض الجمال حامله نسخة من القرآن على رأسها مؤكدة أن هذا الكتاب المقدس سيحفظها. بالكاد تقدموا خمسين ياردة حين فتحت النار من بندقيتين من كل جانب وقتلت الجمال. كانت النيران عشوائية. بات الرجال والنساء والأطفال. ومات أيضاً اعتقاد "عول جانا" بأن القرآن سوف يمنع المساة".

إن التصادم بين الناس الذين يحكمون أنفسهم من خلال القوانين القبلية القديمة والحكومات الحديثة تتخلل قصص أحمد. وثمة قصة أخرى هي "مسالة شرف" تظهر عدداً من المفردين البلوش الذين يقيضون حدود مؤسسة على عوالم قديمة أكثر مرونة. وفي إحدى قصصه الغالعة "موت الجبال" يصف أحمد عالم قبيلة تتكون من رعاة الجمال الذين ينتقلون بقطاعاتهم من الجبال الأفغانية في الشتاء إلى السهول بباكستان في الصيف. وفي الخريف وحين تحاول دولة باكستان أن

ويحكمون بالموت بسبب القتل، يكتب أحمد: "ثمة صمت تام حول البلوش وقضيتهم وحياتهم وموتهم. لا محصراً صحفياً خاطر بالغاب من أجلهم.. لا سياسياً خاطر بالسجن: سوف يستمرون بالحديث عن حقوق الفرد وكرامة الإنسان واستغلال الفقراء لكنهم لن يعرضوا الأخطاء خارج الباب الدرامي". ويشكل حزين تستمر الكلمات تدمر الحقيقة. هذه المجموعة تذكر بأعمال الذين من أساتذة القصص القصيرة: سادات حسين مانثو وقصصه عن أعمال العنف التي لحقت تقسيم الهند وأسحق بابل وقصته "الفرسان الحمر". إن قوة هذه القصص وجعلها لا تناضى من بين القصص القادم من جنوب آسيا.



عجز هذه الصورة لجدها الشهير هي التي تدفعها للوصول إلى ما تريد تحقيقه. ثم تتساقط في خيالات الأمل والفشل. عشق البحر وكتب العديد من المسرحيات التي تدور على منون سفن تجوب البحار. أونا تشابلن التي تحتضن تراث جدها الآخر تشارلي تشابلن، تربت في إسبانيا وتنقلت بين العديد من الدول الأوروبية، درست الباليه والغلاميكو وتجدد الإسبانية والإنكليزية والفرنسية. عملت في بضعة أفلام وقامت بأدوار ثانوية لعل أشهرها دور صغير في فيلم جيمس بوند "قدر من الغراء"، إضافة إلى أدوار صغيرة أخرى، وإن تجد فرصة جديدة لتظهر موهبتها التي ربما ورثتها عن جدها تشارلي تشابلن مبدع أشهر شخصية في تاريخ السينما، الرجل الصغير بينطاله الواسع وبسترته الضيقة وحذائه الكبير وقبعته الصغيرة وعصاه، وقد قال عنه مرة: "إنه رجل كل ما فيه يناقض كل ما فيه"، ومع ذلك استطاع أن يصحك العالم ويسخر من الظلم والدكتاتورية. ونقول أونا إنها تحب أن تتذكر جدها بهذه الصورة، تشارليت شابلين، كما تستحضره الأذهان وليس كرجل

المسرح. على لسان شخصيات تعيش على هامش المجتمع وتستमित لتحقيق أحلامها ثم تتساقط في خيالات الأمل والفشل. عشق البحر وكتب العديد من المسرحيات التي تدور على منون سفن تجوب البحار. أونا تشابلن التي تحتضن تراث جدها الآخر تشارلي تشابلن، تربت في إسبانيا وتنقلت بين العديد من الدول الأوروبية، درست الباليه والغلاميكو وتجدد الإسبانية والإنكليزية والفرنسية. عملت في بضعة أفلام وقامت بأدوار ثانوية لعل أشهرها دور صغير في فيلم جيمس بوند "قدر من الغراء"، إضافة إلى أدوار صغيرة أخرى، وإن تجد فرصة جديدة لتظهر موهبتها التي ربما ورثتها عن جدها تشارلي تشابلن مبدع أشهر شخصية في تاريخ السينما، الرجل الصغير بينطاله الواسع وبسترته الضيقة وحذائه الكبير وقبعته الصغيرة وعصاه، وقد قال عنه مرة: "إنه رجل كل ما فيه يناقض كل ما فيه"، ومع ذلك استطاع أن يصحك العالم ويسخر من الظلم والدكتاتورية. ونقول أونا إنها تحب أن تتذكر جدها بهذه الصورة، تشارليت شابلين، كما تستحضره الأذهان وليس كرجل

في الفيلم. ويبدو أن هذا التبعاد عن إيوجين أونيل شمل الجيل الثاني أيضاً كل أحفاده من زواج ابنته من تشابلن ومنهم جيرالدين، التي يبدو أنها أورثته لابنتها النجمة الشابة أونا تشابلن. والواقع أن إيوجين أونيل، الذي يوصف أحياناً بـ "أنطوان تشيخوف الأمريكي" ورغم كل ما حقق من نجاح كان بعيداً عن أولاده فقد انتحر اثنتان من أبنائه في شبابهما وتخلّى عن ابنته بعد زواجها من شابلين. إلا أن حياته الشخصية لم تؤثر على نتاجه المبدع القليلة التي سبقت قيام الثورة البلشفية التي أطاحت بقيصر روسيا عام ١٩١٧، وأدى نيكلسون في الفيلم دور إيوجين أونيل، الذي كان صديقاً حميماً لجون ريد، بل يقال إنه كان على علاقة بزوجة ريد الكاتبة الأمريكية لوليز برايان، كتبت له أونا أونيل تقول: "شكراً لأنك جعلتني أحب أبي من جديد". واعتبر جاك نيكلسون ذلك أجمل إطراره على له دوره

لأنه أسعد تشابلن وأثرى حياته. فقد كان الزوج الرابع والأخير واستمر حتى وفاة شابلين عام ١٩٧٧، وأثمر ثمانية أطفال أكبرهم جيرالدين، والدة نجمتنا الشابة أونا التي تحمل اسم جدتها التي أسعدت جدها تشارلي تشابلن. جدة أونا وسميتها، انقطعت علاقتها مع أبيها إيوجين أونيل وتلاشت كل خيوط المحبة بينها وبينه بعد أن تبرأ منها. لدرجة أنها كتبت رسالة إلى الممثل جاك نيكلسون عام ١٩٨١ بعد عرض فيلم "الحمر"، ملحمة الممثل والمخرج الأمريكي وارن بيتي، المأخوذة عن كتاب جون ريد مؤسس حزب العمال الشيوعي في أمريكا "عشرة أيام هزت العالم الذي يروي فيه، كشاهد عيان، تفاصيل الأيام القليلة التي سبقت قيام الثورة البلشفية التي أطاحت بقيصر روسيا عام ١٩١٧، وأدى نيكلسون في الفيلم دور إيوجين أونيل، الذي كان صديقاً حميماً لجون ريد، بل يقال إنه كان على علاقة بزوجة ريد الكاتبة الأمريكية لوليز برايان، كتبت له أونا أونيل تقول: "شكراً لأنك جعلتني أحب أبي من جديد". واعتبر جاك نيكلسون ذلك أجمل إطراره على له دوره

سلى جراح

لندن

وتقول أونا تشابلن إنها مدركة تماماً حجم الاسم الذي تحمله، لكنها ترفض تماماً فكرة أن اسمها وحده كفيل بفتح كل الأبواب المغلقة في دنيا الفن لأنها تدرك إنه إرث كبير عليها أن تلتبث أنها تستحق فعلاً أن تنتمي إليه. لكن إرث أونا لا يتوقف عند جدها العظيم تشارلي تشابلن بل يمتد ليشمل اسماً مهماً آخر في تاريخ الإبداع الإنساني، هو الكاتب المسرحي والشاعر الأمريكي إيوجين أونيل (١٨٨٨-١٩٥٣). ففي عام ١٩٤٣ تزوج تشارلي تشابلن وهو في الرابعة والخمسين، ابنة إيوجين أونيل أونا، التي كانت في الثامنة عشرة من عمرها. ورغم أن هذا الزواج أغضب أونيل وجعله يتبرأ من ابنته،

الأكراد في مصر
صدر في القاهرة كتاب (الأكراد في مصر عبر العصور) تأليف درية عوني، محمود زايد، مصطفى عوض.. والكتاب يتناول تاريخ الكرد في مصر عبر مراحل زمنية.



لهم الإعلامي).
فيما جاء في تمهيد المؤلف: يعد الإعلام الحكومي جزءاً مهماً وحيوياً من التكوين الإعلامي العام في البلاد.. فعمله حيوي ومؤثر في البناء الصحيح فيما هيئ له المناخ المهني ووضع في مكانه المناسب ضمن خارطة العمل، وقلما نجد نقداً بناءً لهذا الصنف من الإعلام يساعده على النهوض بواجباته ليوثر الزاد الصحفي وفق المعايير المطلوبة.. الإدارة تريد.. والصحافة تريد وهو هذا وذاك، عليه أن يوازن بدقة ويشرف حرفية عالية.

قصص (الصقر التائه) لجميل أحمد صراعات الحدود من أجل الكرامة والحب

ترجمة: نجاح الجبيلي

جميل أحمد هو موظف حكومي بدأ عمله في بلوجستان في الخمسينات. أغلب الموظفين الحكوميين الذين عيّنوا في مثل هذه المناطق البعيدة مثل بلوجستان وهو إقليم حدودي شمال غرب باكستان أو المناطق القبلية على طول الحدود الباكستانية الأفغانية قد علّانو بشدة من أجل تعيينهم في مدن أكبر بباكستان لكن أجند بقي وقضى عقوداً يعمل كإداري. وخلافاً لمعظم الموظفين من السهول تعلم أحمد لغة الباشتو وهي اللغة التي تتكلمها معظم القبائل على طول الحدود الموحشة. وطوال تلك السنين كان يدون الملاحظات ثم حول في عام ١٩٧٤ انطباعاته إلى مجموعة من القصص المرتبطة داخلياً. أخفى أحمد مسودته الأولى وتركها لا يمسه لمدة ثلاث عقود. في عام ٢٠٠٨ وكان في أنقبأؤنا السراق، ناموا ذات ليلة على أنقاض أضلاع تجتّ منها، وهُمت عيون المسافرين بالهرب من الأسود، وصارت النقرة الواحدة إعلاناً ترحيباً بعهد التفتّح المولم. أسماء الإشارة انتفضت على قواعد اللغة وأنسق الجمل ومسميات الأشياء، وصاحت على من بعيد لتفصح محتتها معي ومع ما في هذا العالم....

وبانتفاء القراءات الشعرية قدم الناقد خضير ميري تقييماً سريعاً للقصائد، إذ ذكر أن سوزان سامي جميل تغادر في بعض قصائدها الصوت الأنثوي الطافي على نصوص الكثير من الشاعرات، بينما يتجه الشاعر هادي الحسيني لمخاطبة العالم باستغراق التفاصيل الصغيرة، وهنا يرى ميري أن قصيدة السراي تأتي لتكون مثقلة لهذا السجل في الحياة العراقية.

وينتقل إلى هندسة البيت الجمهوري ومعماريته من الداخل والخارج وألوانه، ثم يتناول تفاصيل الأثاث المنزلي وفروقه عن الأثاث الملكي وهندسة الحمام والمراحيض والبيتونة وسطح المنزل.. ثم ينتقل الكتاب بفصله الثالث إلى المطبخ العراقي وتفصيله. ربما يبدو الكتاب متعارضاً مع ذائقة الثقافة العراقية التي اعتادت الإدمان على سطوة الأبت في شعره وقصته أو روايته، لكن هذه المحاولة سيكون لها الأثر عندما يتم الإطلاع على متن الكتاب.

المساعد في الإعلام الحكومي الذي كتب عنه المشرّف العام على المركز الوطني للإعلام علي هادي محمد الموسوي كلمة تشير إلى أهمية ما طرحه الكاتب من أفكار تشف عن مكابدة حقيقية

الدليل المساعد في الإعلام الحكومي
صدر للإعلامي سمير ياسر دهش العبيدي كتاب بعنوان (الدليل

تموز للطباعة والنشر والتوزيع في سوريا كتاب (تمر ولين.. في الذات الجمهورية).. وهو الإصدار الجديد للكاتب في سنة ٢٠١١. والكتاب من القطع المتوسط و(٢٠٠) صفحة ويتناول حقب الجمهوريات الخمس من ١٩٥٨ إلى ٢٠٠٣.. تمر ولين مغامرة جديدة وتجربة متفردة للكاتب في حقل الاناسة كعلم مجتريح ما بعد الحداثة.. لقد اجترح الكتاب ثلاث خصائص من خصائص ذات الجمهورية، وهي على التوالي: الأزياء العراقية من معونة الشتاء مروراً بالسفاري والزيتوني وحتى الأزياء العروبية التقليدية.. ثم يعرج الكتاب على أزياء حقبة المابعد.. ثم ينتقل إلى الفصل الثاني

تموز للطباعة والنشر والتوزيع في سوريا كتاب (تمر ولين.. في الذات الجمهورية).. وهو الإصدار الجديد للكاتب في سنة ٢٠١١. والكتاب من القطع المتوسط و(٢٠٠) صفحة ويتناول حقب الجمهوريات الخمس من ١٩٥٨ إلى ٢٠٠٣.. تمر ولين مغامرة جديدة وتجربة متفردة للكاتب في حقل الاناسة كعلم مجتريح ما بعد الحداثة.. لقد اجترح الكتاب ثلاث خصائص من خصائص ذات الجمهورية، وهي على التوالي: الأزياء العراقية من معونة الشتاء مروراً بالسفاري والزيتوني وحتى الأزياء العروبية التقليدية.. ثم يعرج الكتاب على أزياء حقبة المابعد.. ثم ينتقل إلى الفصل الثاني



وينحسر سيات الجدران السرية". آخر القراءات كانت للشاعر حسام السراي وقصيدته (رضيع الوجود متغنياً بضراخه)، وفي مقطع منها: "أتقبأؤنا السراق، ناموا ذات ليلة علي أنقاض أضلاع تجتّ منها، وهُمت عيون المسافرين بالهرب من الأسود، وصارت النقرة الواحدة إعلاناً ترحيباً بعهد التفتّح المولم. أسماء الإشارة انتفضت على قواعد اللغة وأنسق الجمل ومسميات الأشياء، وصاحت على من بعيد لتفصح محتتها معي ومع ما في هذا العالم....

وبانتفاء القراءات الشعرية قدم الناقد خضير ميري تقييماً سريعاً للقصائد، إذ ذكر أن سوزان سامي جميل تغادر في بعض قصائدها الصوت الأنثوي الطافي على نصوص الكثير من الشاعرات، بينما يتجه الشاعر هادي الحسيني لمخاطبة العالم باستغراق التفاصيل الصغيرة، وهنا يرى ميري أن قصيدة السراي تأتي لتكون مثقلة لهذا السجل في الحياة العراقية.

التأشيرة، لكنها نرى اليوم ان الحاضنة الثقافية المصرية عادت الى طبيعتها، مثلما كانت في الستينات والسبعينات تحتفي بالأصوات الشعرية العراقية". جلسة القراءات بأكثر من قصيدة، ومنها (الطاحونة الهرمة) التي جاء فيها: "سارافق ظلي أراكمه كأننا في طفولتي، بخطى نحو الشمس بجناحي نسير، ونقاء ملاك. ثم قرأ الشاعر هادي الحسيني مجموعة من قصائده، ومما ورد في قصيدته (التمائيل): " التمايل التي نحتت من غلاب المجهول تقدم نحو كاتراية القلوب قسراً تضح الفصول تضح الفصول بالنحاس لكن الصوت سينبثع

أصوات

تمر ولين كتاب جديد
للكاتب خضير فليح الزبيدي .. صدر عن دار



متابعة
القاهرة/ خاص بالمدى

في واحدة من الأمسيات التي نظمها أتيليه القاهرة، مؤخراً، استضاف الشعراء: سوزان سامي جميل، هادي الحسيني، حسام السراي، واستهل الناقد شريف الجيار أمسية "شعراء من العراق" بالتر حبيب بالضيوف الذين يؤكدون فكرة تواصل الثقافة العراقية مع المحيط العربي بقصائدهم وحواراتهم الثقافية، مذكراً بالأسماء الشعرية العراقية المهمة والكبيرة التي قرأت في أتيليه القاهرة.

تلا ذلك حديث الناقد خضير ميري عن انه "وقبل ثلاث سنوات ربما، لم تكن نجد أديباً أو مثقفاً عراقياً يزور القاهرة ويشارك بفاعلية في نشاطاتها وأمسياتها الأدبية، لعله بفعل الوضع الأمني وضوابط منخ